النظرية الإسلامية في التكامل المعرفي
(المفهوم والتحديات)

كلية الامام الأعظم/ المؤتمر الدولي 17

المحور الأول/ إشكالية التكامل المعرفي

أ. م. د. عبد الهادي محمود الزيدي

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛ فقد تواترت الأخبار في الكتب والسير، عن شمولية التعلم والتعليم في الإسلام، وتأكدت بما لا يقبل الشك المعرفة الواسعة التي كان عليها علماؤنا الأوائل، منذ أن تأسست العلوم الاسلامية في مراحلها الأولى: كالحديث والتفسير والفقه واللغة، وصولاً الى اصول الفقه وعلم الكلام وارتبطت بها علوم الفلك والطب والرياضيات والهندسة والفيزياء، فكانت نظرتهم آنذاك الى العلوم إنها مترابطة، يكمل أحدها الاخر، فلا ينبغي للعالم أو المتعلم تجاهل هذه الحقيقة.

وكان لتكاملية وشمولية هذه المعارف الأثر الاكبر في نبوغ عدد كبير من علماء الأمة ممن أحاط بعلوم عصره، حتى عُدَ نابغة فنفع الله به مجتمعه وأمته، فكانت هذه الحقيقة: نظرية ناضجة في التكامل المعرفي.

أهمية البحث:

تعددت -اليوم- فروع علوم الطبيعة والطب والهندسة وغيرها، واتسعت آفاقها الى حدود كبيرة، وأما علوم الشريعة الغراء فما زالت مترابطة بشكل أكبر وبما يتسنى لطالب العلم الشرعي دراستها في تكامل معرفي تنتظم بها فتواه إن أصبح مفتياً وتكتمل بها رؤاه إن اختص بالدعوة أو بتدريس العلوم الاسلامية، وما عدا ذلك من علوم طبيعية أو طبية أو سواها: فيمكن للمجامع الفقهية أو الدعوية الاستعانة بالثقاة من أهلها لإصدار فتوى أو إعلان موقف إسلامي في قضية ما، وهو الموضوع الذي يناقشه هذا البحث المعنون: (النظرية الإسلامية في التكامل المعرفي: المفهوم والتحديات).

مشكلة البحث:

١/ ما مفهوم النظرية الإسلامية، وما معنى التكامل المعرفي؟

٢/ هل هناك علاقة بين العلوم الإسلامية والتكامل المعرفي؟

٣/ ما التحديات المعاصرة التي تواجه النظرية الإسلامية في التكامل المعرفي؟

وسيتبع البحث إن شاء الله المنهج الوصفي لتأصيل مفاهيمه وتحقيق أهداف.

المبحث الأول: النظرية والتكامل المعرفي

المطلب الأول: حول مصطلح النظرية

تعّرف النظرية لغة:[1] بنسبتها إلى النظر، بمعنى : تأمل الشيء ومعاينته ، ومنه نظرت إلى الشيء ومعاينته ،والنظر: البصر والبصيرة، ويقال أيضا: للفكر الذي يطلب به علم غلبة الظن، فيقال : فيه نظر، أي مجال للتفكير لبيان وضوحه. والنظرية من الألفاظ المتولدة التي شاع استعمالها عند المحدثين، وهي: قضية تثبت ببرهان.[2]

ومفهوم النظرية اصطلاحا هو: (المفهوم العام الذي يؤلف نظاما حقوقيا موضوعيا تنطوي تحته جزئيات موزعة)[3] والنظرية: مجموعة من العبارات المرتبطة التي نسقت؛ لكي تؤكد معنى لمجموعات من الأحداث، وربما نسقت هذه العبارات على صورة تعريفات وصفية أو وظيفية، وأبسط صور مصطلح نظرية: هو بناء رمزي، يهدف لإظهار الحقائق المعممة أو القوانين في اتصال منتظم.[4]

ويختلف مصطلح نظرية من حيث الدلالة عن بعض المصطلحات التي تشترك معه في الحقل الدلالي نفسه، كمصطلح وجهة نظر، أو رأي، أو اتجاه؛ فالنظرية أكثر دقة وصدقًا، كما أنها تطورت عن طريق فنيات العلم أو بواسطة منطق مطور متبعة قواعد متشددة في ذلك بخلاف المصطلحات الأخرى، وللنظرية دور بناء في تطوير المعرفة في حين أن المفاهيم الأخرى ليس لها هذا الدور.[5]

ويرى بعض الباحثين إن معظم النظريات في العلوم الإنسانية لا تصلح للكشف عن السنن الكونية، بينما يعّد الأمر وارداً في العلوم الطبيعية: (فالنظرية في العلوم الإنسانية قد يستبدل بها نظرية أخرى، والأخرى قد يستبدل بها ثالثة، وهكذا تستمر العملية دون أن ترقى إحداها إلى مستوى الكشف عن سنة كونية، وهذا شيء طبيعي في مجال العلوم الإنسانية، ويعود ذلك بصفة خاصة إلى تشابك العناصر المادية والروحية، والعقلية والنفسية بعضها ببعض، بحيث يصعب التعرف على مكونات ذلك المزيج وأبعاده، والعوامل التي تؤثر فيه وتتحكم فيه، فالعناصر الثلاثة الأخيرة الروحية، والعقلية، والنفسية، لا تزال ألغازًا لم يصل الإنسان بعد إلى إدراك كثير من حقائقها، وهي فضلاً عن ذلك متداخلة متشابكة، أما في مجال العلوم الطبيعية، فكثيرًا ما ترقى هذه النظريات إلى مستوى الكشف عن سنة كونية، فقد تؤدي النظرية إلى كشف النقاب عن قانون من القوانين الطبيعية في مستوى محدد من المستويات المختلفة،

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (٢١٥/٥)، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي (٣٩٤/٤).

(٢) المعجم الوسيط، مجموع مؤلفين، (٩٣٢/٢).

(٣) نظرية الحق في الفقه الاسلامي، د. عبد الستار حامد، ص ٢٣.

(٤) المنهج المدرسي المعاصر، جودت أحمد سعادة وعبد الله ابراهيم، ص ٣٩١.

(٥) نظرية المنهج، جورج بوشامب، ترجمة ممدوح محمد، ص ٢٥.

ويعود هذا إلى السهولة النسبية في مراقبة الأشياء التي يتم دراستها ضمن هذه العلوم، والتحكم فيها وفي العوامل التي تؤثر فيها، وبالتالي إخضاعها للفحص والتجربة لمعرفة مكوناتها وتغيراتها)[1]. وقد شاع استخدام كلمة نظرية في جميع الدراسات، فيقال : النظرية الاقتصادية، أو النظرية الإسلامية في السياسة أو النظرية الإعلامية، وغيرها، ومنها : النظرية الإسلامية في التكامل المعرفي، وإذ نحاول هنا كباحثين أن نبين معنى نظرية الإسلام المعرفية وتفاصيلها ، فيجب أن نقر سلفاً إن المقصود بذلك هو ليس محاولة وضع وجهة نظر بشرية فيما قررته الشريعة الإسلامية، أو الاجتهاد في تقرير ما لم يقرره الله تعالى فيه، وإنما نفعل ذلك لسببين[2]: الأول: إن الله تعالى أمرنا باستخدام عقولنا والعمل بحكمة ووعي على استنباط القواعد والأحكام التي تنير درب الحياة أمام الإنسانية.

والثاني: إن محاولات تبيان نظرية الإسلام في التكامل المعرفي، لابد أن يقصد بها تصنيف المعارف والعلوم التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية في هذا الشأن، ومن باب مواكبة المسميات الحديثة ما دامت لا تخرجنا عن ضوابطنا الشرعية المحددة.

المطلب الثاني: في معنى التكامل المعرفي

أولاً/ التكامل لغة واصطلاحا: وجذرها كَمُل، ومنه: الكمال: بمعنى التَّمام، وقيل: التمام الذي تَجَزَّأَ منه أَجزاؤه، وفيه ثلاث حالات: كَمَلَ الشَّيءُ يَكْمُل، وكَمِلَ وكَمُلَ كمالا وكُمولًا، قَال الْجوهرِيُّ: والكسر أَردَؤُها. وشيءٌ كميل: كامل، جاؤوا بهِ على كَمُلَ. وتَكَامَل الشيءُ وأَكْمَلْته أَنا وأَكْمَلت الشَّيْءَ أَي أَجمَلتُه وأَتممته، وأَكْمَلَه هُو واسْتَكْمَلَه وكَمَّلَه: أَتَمَّه وجمله؛ وكذلك: أَعطاه المالَ كَمَلًا أَي كاملا؛ وهو لا يُثَنَّى وَلَا يُجمَعُ؛ قَال: وليس بمصدَرٍ ولا نَعتٍ إِنما هو كَقَوْلِكَ أَعطيته كُلَّه، ويُقَالُ: لَكَ نصفُه وَبَعضُهُ وكَماله[3]، وقَالَ اللَّه تعالى: **{اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}**[4]؛ ومعناهُ: الآنَ أَكملتُ لكم الدِّين بأَن كَفَيْتُكُم خوف عدوِّكم ونصرتكم عليهِم، كما تقُول الآنَ كَمُلَ لنا المُلك، وكَمُل لنا ما نريد بأَن كُفينا من كنَّا نخافهُ، وأيضاً: أَكمَلْتُ لكُم دِينكم أَي أَكملتُ لكم فَوقَ ما تحتاجُونَ إِليه فِي دينكم، وذلِك جائزٌ حسَن، فأَما أَن يكونَ دين اللَّه عزَّ وجلَّ في وقتٍ من الأَوقات غير كامل فلا؛ والتَّكملات فِي حساب الوصايا: معروفٌ. ويقالُ: كَمَّلْت له عدد حقِّه ووفاء حقِّه تكميلا وتكملَة، فَهُو مكَمَّل. ويقَالُ: هذا المكمِّل عشرينَوالمكمِّل

(١) قواعد أساسية في البحث العلمي، سعد اسماعيل صيني، ص ٨٥.

(٢) ينظر: الطرق الحكمية، ابن القيّم، (٥/١).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، (١١/ ٥٩٨).

(٤) سورة المائدة ، من الآية: ٣.

مائَةً والمُكَمِّل أَلفاً.[1]

وفي الاصطلاح: التكامل هو تقارب الاجزاء من بعضها، فعلياً بلا فساد أو اجبار، وهو أن يفعل أفعال الفضائل كلّها، فليس أن يكون الإنسان ذا فضيلة فقط، من غير أن يفعل أفعالها، كما أنّ الكمال هو في أن يفعل، لا في أن يقتنى الضروريات التي بها تكون الأفعال، فلا يتحقق كمال الكاتب الا أن يفعل أفعال الكتابة، لا أن يقتنى الكتابة.[2]

ثانياً/ المعرفة لغة واصطلاحاً: المعرفة في اللغة العربية: ضدَّ النكر والمنكر، والعرفان خلاف الجهل[3]، ويقال: (وتَعَرَّفْتُ ما عند فلان، مصدره التعَرُّف: تَطَلُّب الشيء، وعرَّفه الأمر: أعلمه إياه، وعَرَّفه به، وسَمه، وجاء من المصدر «مَعْرِفة، على غير القياس؛ لفعله الذي هو على وزن «يَفْعِل»؛ إذ إنَّ أكثره يأتي على وزن «مَفْعَل)[4]، وقيل في المعنى اللغوي للمعرفة: (العين والراء والفاء واصلان صحيحان يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلًا بعضه ببعض، والأخرى على السكون والطمأنينة، تقول عرف فلان فلانًا عِرْفانًا ومعرفة، وهذا أمر معروف، وهذا يدل على سكونه إليه لأن من أنكر شيئًا توحش منه ونبا عنه).[5]

كما انها تحمل معنى المجازاة؛ يقال: لأعرفن لك ما صنعت؛ أي: لأجازيك به[6]، وفي مادة عرف حروف "رفع"، ومن ثم كان هذا المعنى مناسبًا؛ حيث وردت كلمة «المعرفة»؛ لتدل على ما هو: "عالٍ، مكرم، وطيب"؛ إذ يقال للقوم إذا تلثَّموا: غطوا معارفهم[7].

والمعرفة في الاصطلاح: المعرفة أيضاً هي ثمرة التقابل والاتصال بين الذات المدركة وموضوع مدرك، وتتميز من باقي معطيات الشعور، من حيث أنها تقوم في آن واحد على التقابل والاتحاد الوثيق بين هذين الطرفين[8]. وتعني المعرفة أيضاً: (إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تبارك وتعالى بالعالم دون العارف[9]، كما أن من معاني المعرفة: إدراك الشيء بإحدى الحواس، العلم مطلقاً تصوراً كان أم تصديقاً، إدراك البسيط سواء كان تصورًا للماهية أو تصديقًا بأحوالها)[10].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، (١١/ ٥٩٨).

(٢) فصول منتزعة، الفارابي، والتعليقات، ابن سينا، (٢٢/١).

(٣) صحاح اللغة، الجوهري، (١٤٠٠/٤).

(٤) الأفعال، علي بن جعفر السعدي بن القطاع، (١٢/١).

(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢٨١/٤).

(٦) أساس البلاغة، الزمخشري، ص ٦٢٤.

(٧) أساس البلاغة، الزمخشري، ص ٦٢٤.

(٨) المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، ص ١٨٧.

(٩) التعريفات، الجرجاني، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(١٠) كشاف اصطلاح الفنون، محمد التهانوي، (١٠٣٩/٢).

ثالثاً/ التكامل المعرفي: مصطلح مركب حديث في المعاجم اللغوية والاسفار المعرفية، يشير الى تقارب العلوم من بعضها بدرجات متفاوتة، فالمعرفة: تكذيب القلب للحق رغم وضوحه أي فكَّذب بالحق: (وعلمه بأن ما جاء به - موسى - أنه حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له)[1].

وكلمتيّ: (العلم والمعرفة من قبيل المصطلحات التي بينهما اتصال وانفصال واتفاق واقتران بحيث يصدق عليها القول بأنها إذا اتفقت اختلفت وإذا اختلفت اتفقت شأنها في ذلك شأن التربية والتعليم والإيمان والإسلام والأخلاق والقيم وسواها يكون السياق هو المحدد الوحيد لمن يراه تفريقًا بينهما ولكن تفريق موضعي لا موضوعي لا يصمد ولا يَطَّرِد في كل حين).[2] وتعدّ المعرفة من خصائص البشر التي تُميِّزُهم عن غيرهم من الكائنات، ويختلف الناس في مستوى امتلاكهم للمعرفة وسعيهم لها،

ويمكن النظر الى التكامل المعرفي بانه: العلم الذي يدرس طرق استمداد المعرفة من مصادرها، وهذا يعنى تحديد المصادر وتحديد طرق وأدوات الاستمداد[3]. وكذلك هو: التكامل المعرفي ، ما هو إلا هو محاولة «مجتهدة» لإخراج المفاهيم والعلوم من قاع الجب، وإنبات براعم الثقافات الغنية، وتفكيك قيودها الصلبة، وإعادتها لسياقها الحيوي السليم في مضمار التفاعل والتناغم[4].

ومن هنا يتضح ان التكامل المعرفي هو: اتجاه معرفي يؤكد على تشابك وجهات النظر العلمي وضرورة ربط المعلومات في نظام يتصل فيه جميع التخصصات، فضلاً عن ارتباط كل هذه المجالات بالعلوم الإنسانية الأخرى: النفسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك مما يعد حتميًّا للوصول إلى مخرجات موضوعية للبحث العلمي وتفسير الظواهر وحل المشكلات؛ نظراً للتطور المتسارع في ميادين المعرفة ومجالات البحث العلمي ومناهجه، والتحولات الكبيرة في كافة ميادين المعرفة[5].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥٥٢/٤).

(٢) نظرية المعرفة في القرآن، أحمد الدغثي، ص ٩٢.

(٣) منهجية التكامل المعرفي، فتحي حسن ملكاوي، ص ٢٠ وما بعدها.

(٤) التكامل المعرفي في العلوم، د. محمد البشاري، موقع: موقع: https://www.aletihad.ae

(٥) ينظر: الدراسات البينية تفتح آفاقا جديدة في البحث العلمي، محمد صالحين، موقع: اسلام اون لاين، https:// islamonline.net.

المطلب الثالث: المعرفة في المنهجين الإسلامي والغربي

أولا/ المعرفة وتكاملها في المنهج الاسلامي:

في المنهج الاسلامي كل العلوم مبتغاة إما ابتداء أو لاحقاً، فهي واجبة الطلب من قبل طلبة العلم: (إنَّ العلوم صنفان: علوم مقصودة لذاتها وعلوم ممهدة للإنسان في تعلم العلوم المقصودة لنفسها)[1] والمعنى: إن على أنَّ العلوم مكملةٌ لبعضها، وأنها لا تكتمل إلا برؤية علمية صحيحة في مختلف مجالاتها.

وفي المنهج الإسلامي فإن أول مصادر المعرفة هو الوحي الذي أنزله الله تعالى على رسوله -صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم، ليشكل مع السنة النبوية الشريفة المصدران الرئيسان للتشريع في الاسلام، فالمعرفة المكتسبة عن طريق الوحي معرفة يقينية مطلقة، لأن الوحي جزء من علم الله تعالى، لهذا فهذه الصفة حقيقة مطلقة غير محدودة، وقد تكفل الله بحفظ كتابه الكريم من التحريف والتبديل والتغيير، والتوحيد هو مدخل التكامل المعرفي في الإسلام لكونه مبدأً لوحدة الحقيقة، ويفهم منها: التفتح لقبول البينات الجديدة أو المخالفة، وهذا المبدأ يحمي المسلم من الحاجة إلى المذاهب الأخرى كالليبرالية، والتطرف أو المحافظة المؤدية إلى التجمد والسكون، وهو يرتفع به إلى التواضع الفكري، وتفرض عليه النطق بعبارة: الله أعلم؛ لأنه مقتنع بأن الحقيقة أكبر من أن يحيط بها الإنسان في أي وقت.[2]

وهناك حقيقة مهمة لابد من الاشارة اليها في مجال المعرفة وتكاملها في المنهج الاسلامي، هي: (إن اعتبار الوحي الإلهي المصدر الأصل من مصادر المعرفة لا يلغي دور العقل الإنساني، ولا يعطل دور الإدراك البشري، كما أن وجود الكون لا يلغي دور العقل، بل يفتح أمامه أبواباً للمعرفة)[3] والوحي هنا بمثابة الموجه للعقل في تفكيره وتأملاته ومرشداً له، فيوفر هذا الارشاد للعقل أمرين: (الأول: أنه يحفظه من التوجه الخاطئ إلى خيالات وموضوعات لا وجود لها في عالم الخلق؛ لأن العقل لا يستطيع الوصول إلى معرفة في غير مادة موجودة. والثاني: أن إرشاد الوحي يحفظ العقل يقظًا إلى الهدف من البحث والمعرفة، وهو معرفة الله وعبادته لا التجبر والعلو في الأرض، ولأن مصدر المعرفة هو الله فلا يدَّعيها ويدخله العجب والطغيان.[4]

ولهذا يعد العقل في المنهج الاسلامي، المصدر الثاني للمعرفة بعد الوحي -القرآن والسنة-: فيستمد العقل من الكون بمجالاته الثلاثة: الطبيعية والاجتماعية والنفسية معرفة واسعة، قال تعالى: **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}**.[5]

---

(١) الضروري في صناعة النحو، ابن رشد، ص ٩٩.

(٢) التكامل المعرفي وأثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية، رائد جميل عكاشة، ص ٣٣.

(٣) نحو منهجية معرفية قرآنية، طه جابر العلواني، ص ٧٢.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية: بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، ماجد الكيلاني ، ص ٢٥٥

(٥) سورة فصلت، آية: ٥٣.

ثانياً/ المعرفة والمنهج الغربي: ثبت بالنظر والتحليل: (إن الإطار الذي توضع فيه العلوم عند العلماء الغربيين هو إطار يقوم على فلسفة لا دينية، هذه الفلسفة ترى أن الظواهر الكونية والمعارف والحقائق الطبيعية وغيرها ينبغي أن تفسر بأسباب من داخل هذا الكون أي بأسباب طبيعة لا دخل فيها للإرادة الإلهية، وبذلك فإن كل عبارة تنطوي على دعوى تخالف في ظاهرها هذا التصور فإما أن نحكم ببطلانها وإما أن نعيد تفسيرها بحيث نجد لها مكانًا داخل هذا الإطار الإلحادي المادي، وكذلك كل ظاهرة يُدَّعى أنها خارقة لقوانين الطبيعة فهي إما كذب أو وهم لا أساس له، وحتى الظواهر النفسية والاجتماعية إذا فسَّرت بأسباب خارج هذا الإطار فإن هذا التفسير لا يعتبر تفسيرًا علميًا، أي أن التفسير العلمي هو بالضرورة تفسير إلحادي حتى أصبحت كلمة العلم في العالم كله تقريبًا علمًا على هذا التصور الإلحادي)[1].

ولهذا يعّدُ العلماء والفلاسفة الغربيون أن الكون هو مصدر المعرفة فالحقائق والمعارف والعلوم التي تثبت عن طريق العقل والحس والتجربة تعتبر حقائق علمية والطريق المتبع في الوصول إلى هذه الحقائق هو منهج علمي بل هو المنهج العلمي (فالعلم باصطلاحهم محصور - مصدرًا - في التجربة وميدانًا في المجال الرياضي والطبيعي وما يُقبل موضوعه للتجربة والاستقراء والمقاييس الكمية) فالحس هو: الوصول الى الشيء بإحدى الحواس فإن تم الإحساس بالحس الظاهر فهو المشاهدات، وان كان بالحس الباطن فيدعى: الوجدانيات، واما التجربة فهي ملاحظة العالم لظواهر طبيعية بشروط معينة، يعدّها هو ليصل من هذا كله: إلى العلم بقضية أو قضايا تسمى بالمجربات.[2]

وقد ظهرت في الغرب معضلة فقدان التكامل المعرفي أو قصوره عن المعنى الصحيح واختلافه عن مفهوم التكامل المعرفي الاسلامي، نتيجة التفكير المادي والتفسير المادي لمظاهر الكون والحياة، خاصة في العصر الحديث، قد اتسعت هذه الأزمة مع ظهور العلوم الإنسانية والاجتماعية في الغرب (ولعل الصراع الذي حصل بن العلماء ورجال الدين في أوروبا وانتهى بانتصار وغلبة العلماء على الكنيسة والدين النصراني واعتبروا هذا الانتصار على جميع الأديان لأنهم يظنون أن دينهم - الباطل - هو أحسن الأديان، فكان من نتيجة ذلك أن وضع العلم في جانب ونُحّي الدين في زمرة السحرة والكهانة والخرافات لأن هذا الدين النصراني الذي صارعه العلم وتغلب عليه كان مختلطًا بهذه الأمور)[3].

وقد تسبب ذلك في حدوث تناقض كبير بين نظرة الغرب والنظرة الاسلامية لقضايا العلم والمعرفة والتكامل المعرفي، خاصة في القرون الاخيرة حال دخولها الى المجتمعات الإسلامية، وتداولها من دون

(١) إسلامية العلوم وموضوعيتها، جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، ص ٧.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ص ٣٠.

(٣) إسلامية العلوم وموضوعيتها، جعفر شيخ ادريس، مجلة البيان، ص ٧.

الوعي بأصولها المعرفية وخلفياتها الفلسفية وتعاطيها مع الإنسان والكون والحياة، وقد أدى هذا التصادم في المفهومين: الاسلامي والغربي الى: (انفصال العلوم الوافدة عن العلوم الموروثة بمناهجها وموضوعاتها وقضاياها التي تهتم بها، والنتائج التي تتوصل إليها، وأضحت لدينا علوم اجتماعية حديثة ولكنها غير وظيفية، كما أضحت لدينا علوم شرعية أصيلة ولكنها غير فاعلة في التطور الاجتماعي، وبعد مرور ما يقرب من قرن على نشأة العلوم الاجتماعية الحديثة - المنقولة- ثبت أنها لم تسهم في تقدم أو نهضة المجتمعات العربية والإسلامية، وأن حصيلة ما أنتجه أساتذة العلوم الاجتماعية - بمختلف فروعها - لم يعد كونه مجرد نظريات واهية الصلة بمشكلات المجتمع الذي ينتمون إليه، واتضح أنهم كانوا في أغلبهم وسطاء مترجمين ولم يكونوا علماء حقيقيين، ولم يظهر لواحد منهم نظرية اجتماعية أو نفسية أو سياسية أو اقتصادية تنسب إليه هو وإلى اجتهاده الذاتي)[1]. وتلك هي المعرفة التي لا ينهض بها علم، ولا ترتجى من ورائها نهضة، مما نتج عن ذلك ما عرف ب (انسان النصف) الذي عده مالك بن نبي من أسباب تعطيل النهضة الفكرية والحضارية[2].

المبحث الثاني / نظرية التكامل المعرفي: المنطلقات والتحديات

المطلب الأول / منطلقات نظرية التكامل المعرفي الإسلامي

أولاً/ ترى هذه النظرية إن التكامل المعرفي المقصود والمعمول منذ البدايات الأولى للمعرفة والحضارة الاسلامية هو الذي لا يعترف بالحدود الوهمية للمعارف، ولا يقف عند تصنيفها تصنيفا حادًا يمنع من الزيادة في الطلب والتحصيل بين علوم كونية أو دينية أو إنسانية، بل الهدف هو الوصول الى وحدة معرفية تشاركية تقوم على ردم الفوارق بين الحقول المعرفية، واعتبار العلوم دائرة واحدة مطلوبة إما ابتداء أو لاحقا.[3]

ولهذا فأنَّ تصنيف العلوم إلى علوم نقلية وعلوم عقلية أدّى إلى (توالد ثنائية في المجال التداولي الإسلامي، تلك الثنائية التي وضعت العقل في مقابل الوحي، فتولّدت عنها أزمة إبستيمية (أي علمية) حادّة عصفت بعلوم الوحي بمختلف تخصُّصاتها، نتيجة عدم قدرتها على الاستفادة من المنجزات المعرفية التي ولّدها العقل الإنساني، فبقيت حبيسة الممارسات المنهجية التقليدية)[4].

---

(١) المجتمع المدني في ضوء المقاصد العامة للشريعة، إبراهيم البيومي غانم، ص ١٢١.

(٢) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص ٧٦.

(٣) التكامل المعرفي وأثره على النهضة العلمية، يوسف العزوزي، صحيفة رأي اليوم، العدد ١٤، في ٢٠٢٢/٥/١٨.

(٤) نحو إعادة الوصل بين علوم الوحي والدراسات الإنسانية، عبد الرزق بعقرور، ص ٢٦٠.

ثانياً/ في إطار نظرية التكامل المعرفي الإسلامية، عمّق علماء الإسلام السابقون معرفتهم في أكثر العلوم الشائعة في أزمانهم، يستقون من بساتين المعارف وآفاق العلوم المختلفة، ومؤلفاتهم شاهدةٌ على ذلك، فالغزالي كان فقيهًا أصولياً فيلسوفاً لغويا مربياً، وابن رشد كان طبيباً فقيهاَ فيلسوفا لغوياً وقاضيا، والعز بن عبدالسلام كان عالماً بالفقه والمقاصد واللغة والأصول وفصول السياسة والحكم، وابن خلدون أسس علم الاجتماع وكان فقيهاً قاضيا لغوياً، وغيرهم من العلماء والفقهاء، الذين عرفوا بالكتابة والتأليف في معظم مجالات المعرفة، ومختلف أنواع الثقافات والعلوم، لأنهم نظروا إلى العلوم الإنسانية على أنها ضرورة بها تتم العلوم الشرعية وتتكامل معها: (العلوم صنفان: علوم مقصودة لذاتها وعلوم ممهدة للإنسان في تعلم العلوم المقصودة لنفسها)[1] بمعنى أن علوم الوحي تزدهر باقترانها بالعلوم الإنسانية في التجذير والاجتهاد، والعلوم الإنسانية بحاجة الى علوم وفنون مادية روحية ليكتما عملها ووجودها.

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية يسمي العلوم ذات العلاقة بتربية الإنسان وتعليمه وهدايته: عقائدياً ونفسياً ومجتمعياً (علوما سمعية) لأنها جاءت بالسماع عن طريق الوحي، والصنف الآخر الذي يتعلق بجسده وعقله كالطب والهندسة والرياضيات والفلك يطلق عليها تسمية: (علوما عقلية)، وكلا الصنفين في نظره علوما شرعية فيقول: (فإن الشرعيات ما أخبر الشارع بها وما دل الشارع عليها، وما دل الشارع عليها ينتظم ما يحتاج إلى علمه بالعقل وجميع الأدلة والبراهين وأصول الدين مسائل الاعتقاد... وعلى هذا فتكون العلوم الشرعية قسمين عقلية وسمعية، وقد تبين بهذا أن كل علم عقلي أمر الشرع به أو دل الشرع عليه فهو شرعي أيضا)[2]

ثالثا/ تنظر هذه النظرية الى (دعوى التكامل ليست دعوى مرتبطة بفلسفة الحداثة وتحولات العلم المعاصر، بل تجد أصولها في تراث العلم وتاريخه؛ إذ التكامل هو الموقف الطبيعي والأصلي والأصيل من المعرفة، وهو ما يكسب هذا المفهوم معقولية تاريخية يستمدها من تلك الصور ومظاهر التأسيس الأولي لمفهوم التكامل في التراث وامتداداته وتعبيراته عند كثير من أعلام العلم في الثقافة العربية والإسلامية)[3] وقد وعى علماؤنا الاوائل هذه الظاهرة وعبروا عنها خير تعبير، بالقول وبالتطبيق العملي، فالعلوم كلها متعلقة ومترابطة بعضها بالبعض الآخر، محتاج بعضها إلى بعض، ولا غرض لها من ذلك إلا معرفة ما أدى إلى الفوز في الآخرة[4].

(١) الضروري في صناعة النحو، لابن رشد، ص ٩٩.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٩/ ٢٣٢).

(٣) إسلامية المعرفة وفلسفة التكامل المعرفي، د. عزيز البطيوي، ص ٦٩.

(٤) رسالة العلوم، ابن حزم، ص ٩٠.

رابعاً/ من أمثلة التكامل المعرفي في تراثنا الإسلامي، ما صرّح به ابن كثير -رحمه الله- بأنه يمكن التوصل للأمور المعنوية عن طريق الأمور الحسية فقال تفسيراً لقوله تعالى: ((**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**))[1] عند (ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية نبه على الطريق الدينية المعنوية وكثيراً ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة)[2] وفي مواضع أخرى نجده يجمع بين الوحي والكون كمصدرين للمعرفة فيقول في تفسير قوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}**[3] (أي: واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط، أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضاً)[4].

خامساً/ وظّف العالم والمؤرخ وعالم الاجتماع المعروف ابن خلدون معرفته في نسق واضح من التكامل المعرفي، وذلك بدفع العقل المسلم لاكتشاف سنن الله تعالى في الاجتماع والعمران البشري، ومن انجازات ابن خلدون في التكامل المعرفي توظيف نظريته في العمران والاجتماع البشري لمصطلح المصالح الشرعية وأهميتها في القيام بالعمران والمحافظة عليه، وذلك لإدراك ابن خلدون العميق لأهمية المقاصد الشرعية في توسعة الفكر الاجتهادي المتعلق بالبحث التاريخي وبدء العمران البشري، وقد برع في توظيفها في منهجه لدراسة الاجتماع الإنساني.[5]

سادساً/ من المفكرين المعاصرين يعدّ الدكتور طه عبد الرحمن ممن عمل على ترسيخ نظرية التكامل المعرف في الكثير من مؤلفاته، فيما يعرف بالنظرة التفاضلية: (فلا تفاضل بين النظر والعمل، وبين الإيمان والأخلاق، وإنما ثمة تكاملية بينهما قائمة على تكاملية النظر الملكوتي المؤسس للنظر الملكي، وتكاملية العمل التعارفي المؤسس للعمل التعاوني، وتبرز هذه التكاملية بين الطرفين على مستوى علاقة التسديد والتكميل، فالنظر الملكي من حيث هو موصل إلى العلم في حاجة إلى النظر الملكوتي من حيث هو موصل إلى الإيمان، حيث يسدد الثاني الأول نحو أغراض نافعة ويذكره بحدوده التي لا تتجاوز عالم الأشياء والظواهر، ويكتمل الأول بالثاني بسد النقص الحاصل فيه من جهة المعايير المأخوذة من القيم الروحية التي اختص بها النظر الملكوتي التي يحصلها من تدبر

(١) سورة النحل، آية: ٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/ ٦٩٦).

(٣) سور نوح آية: ١٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٥٠٢).

(٥) التطبيق المقاصدي في المنهج الخلدوني، عبد الرحمن العضراوي، مجلة إسلامية المعرفة، ع ٥٠، السنة ١٣، ٢٠٠٧، ص ١٨٨.

مختلف الآيات الهادية إلى الإيمان)[1].

وفي فلسفته عن التكامل المعرفي، يؤكد تكامل الظواهر والآيات من حيث هي موضوع النظر، ويتكامل العلم والإيمان من حيث هما ثمرة النظر، ثم تتكامل الأسباب والقيم من حيث هي وجهة النظر، وكذلك تتكامل الملاحظة والتأمل من حيث هما آليات النظر، داخل مبدأ تقوم عليه الخصائص الإسلامية متجلية في الآيات الكونية.

المطلب الثاني/ نظرية التكامل المعرفي وتحديات التطبيق

هناك تحديات عدة تواجه تطبيق نظرية الإسلام في التكامل المعرفي، منها:

أولاً/ الجهل بمنهج القرآن الكريم في سعيه للتكامل المعرفي، والتغافل عن المنطق القرآني الذي أكد على العناية بالعقل واتباع المنهج الاستدلالي العقلي؛ كونه وسيلة الفهم والإدراك والوصول للمعرفة، كما في قوله تعالى: **((أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ))**[2] ففي دعوة القرآن الكريم الواضحة لإعمال العقل والفكر انما تاتي للوصول الى مراد الوحي الالهي من التلازم والتكامل بينهما، فحالة (التعارض بين النقل والعقل قد يقع حين يقع في ذهن الإنسان وعقله؛ لنقص في استيعابه أو غفلة عن جانب، أو نقص في الوسائل والأدوات، واستكمال ذلك من شأنه أن يزيل التعارض الموهوم أو المفترض، وأيًّا كان فإن النص يبقى هو المرجع والأساس، ولا بد من حسنِ فهمه على ضوء الواقع الزماني والمكاني، والإطار اللغوي، وسائر أدوات ووسائل فهم النصوص).[3] وهذا التكامل بين آيات الوحيِ وآفاق الكون والإنسان صفةٌ عرفت بها المعرفةُ الإسلامية، ولتحقيق هذا التكامل المعرفيِّ يتطلب الفهم والتعلم الكامل من القرآن الكريم وجعله مرجع المعرفة، ليصل في النهاية الى حقيقة التوحيد، فيقوم الإنسان بتحقيق الأمانة والاستخلاف المطلوب منه على أكمل وجه[4] ، وهو نفس المنطق الذي تؤكده مقولة: (لولا الكتاب لأصبح العقل حائرًا، ولولا العقل لم يُنتفع بالكتاب).[5]

ثانياً/ الجهل بمقاصد السنة النبوية الشريفة، وفي إنها تصدّت الى توسعة العلوم والمعارف والتكامل بينها للوصول الى عبادة الله تعالى على بصيرة ووعي، وفي هذا المجال وظّف النبي -صلى الله عليه

(١) تجديد المنهج في تقويم التراث، د. طه عبد الرحمن، ص ١٢.

(٢) سورة الروم، آية: ٨.

(٣) خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: جدلية النص والواقع، عبد المجيد النجار، ص ١٩.

(٤) التكامل المعرفي في الإسلام، أروى عبد الرحمن، موقع: https://www.alukah.net.

(٥) الذريعة الى مكارم الشريعة، الأصفهاني، ص ١٤٢.

وسلم- جهود وعطاء الصحابة -رضي الله عنهم- بحسب تخصُّصاتهم ومجالات اتقانهم لها، فقال -عليه الصلاة والسلام- في جانب من حديثه عن الصحابة وما تحلى به كل واحد عن غيره: (أرْأَف أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في دين اللهِ عمر، وأصدقُهم حياءً عثمان، وأقضاهم علي، وأفرضُهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أُبَيُّ ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإنَّ لكل أمةٍ أمينا ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرَّاح)[1] فهذا التصنيف من رسول الله -صلى الله عليه سلم- يوضح وجود تخصصات معينة لدى الصحابة، وكذلك يحمل معانٍ منها:

١/ علم بعضهم بالحلال والحرام، وبعضهم بالفرائض -المواريث- وأُبي بالقراءة يشير الى أنهم فاقوا غيرهم في تلك العلوم والمعارف وعرفوا أحكامها.

٢/ اختصاصهم بذلك لا يعني جهلَهم بما سواها، الاّ أنهم برعوا في تلك المعارف وانطلقوا منها الى غيرها، ليبرعوا فيها أيضاَ.

ومن السنة النبوية كذلك، ما رواه جابر -رضي الله عنه- : (**خَرَجْنا في سَفَرٍ، فأصابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فشَجَّه في رَأْسِه، ثم احتَلَمَ، فسألَ أصحابَه، فقال: هل تَجِدونَ لي رُخصةً في التَّيمُّمِ؟ فقالوا: ما نَجِدُ لكَ رُخصةً وأنتَ تَقدِرُ على الماءِ. فاغتَسَلَ، فماتَ، فلَمَّا قَدِمْنا على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُخبِرَ بذلك، فقال: قَتَلوه قَتَلَهمُ اللهُ، ألَا سألوا إذْ لم يَعلَموا؛ فإنَّما شِفاءُ العِيِّ السُّؤالُ، إنَّما كان يَكفيه أنْ يَتيَمَّمَ ويَعصِرَ أو يَعصِبَ -شَكَّ موسى- على جُرحِه خِرقةً، ثم يَمسَحَ عليها ويَغسِلَ سائِرَ جَسَدِه**)[2] فحدث موت الصحابي -رحمه الله- بسبب فقدان تكامل معرفي كان مهماً جداً في تقرير هذه الفتوى في محلها الصحيح.

ثالثاً/ هشاشة المنظومة التعليمية في بعض بلاد المسلمين، تمثل تحدياً أمام تطبيق التكامل المعرفي، بل إن ضعف التعليم ناتج عن فقدان التكامل المعرفي بين العلوم، فنتج عن ذلك فقدان ثمرات العلم والتعلم وعدم مشاركها في بناء ثقافة ووعي في المجتمع: (إضافة إلى الهُوّة والخرق الكبير الموجود بين الهوية والتكوين عند الطلاب الجامعيين، فهم في مواجهة أفكار دخيلة في علم النفس، وعلوم التربية، والقانون والسياسة، واللسانيات والطب دون أدنى معرفة بالتاريخ الإسلامي لتلك العلوم جميعها، وكذلك التيه الذي يقع فيه طالب العلوم الشرعية بين تأسيس اتجاهه الشخصي وبين المذاهب الفكرية، وبين تحصيل المعارف والعلوم منفصلةً عن غيرها من غير منهج تفكيري أو نقدي، مثل تحصيل علم الحديث بلا علم الأصول والمقاصد، أو أصول الفقه بدون علوم اللغة، والعقائد بلا مناهج، فأدى ذلك كله إلى انقطاع الصلة بين أطياف العلوم وأنواع الفنون، وهذا كله خلاف الأصل، إذ الأصل في تلك العلوم

(١) رواه ابن ماجة في سننه، (١٩/٩) برقم : ١٥٤.

(٢) رواه الدارقطني في سننه، (١٨٩/١(برقم : ٧١٩.

التفاعل مع النظام المجتمعي وقوانينه)[1].

وقد كان للفقهاء الأقدمين موقف حازم وفكر ثاقب، فاشترطوا فيمن يتصدى للفتوى والاجتهاد ضوابط تحقق لصاحبها صفة التكامل أو تقترب من ذلك، وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يمثل في سنته تجسيداً حياً للربط بين المنهج القرآني والواقع.[2]

رابعاً/ يمثّل انفصال العلوم الحديثة الوافدة عن العلوم الموروثة بمناهجها وموضوعاتها تحدياً آخر أمام عودة العلم والعمل بالتكامل المعرفي الإسلامي، فقد ظهرت لدينا علوماً اجتماعية حديثة ولكنها غير وظيفية، كما أضحت لدينا علوم شرعية أصيلة ولكنها غير فاعلة في التطور الاجتماعي، ووجدت مدرسة العلوم الاجتماعية داعماً قوياً لها في الدولة الحديثة ودوائرها الأكاديمية: (وبعد مرور ما يقرب من قرن على نشأة العلوم الاجتماعية الحديثة - المنقولة- ثبت أنها لم تسهم في تقدم أو نهضة المجتمعات العربية والإسلامية، وأن حصيلة ما أنتجه أساتذة العلوم الاجتماعية - بمختلف فروعها - لم يعد كونه مجرد نظريات واهية الصلة بمشكلات المجتمع الذي ينتمون إليه، واتضح أنهم كانوا في أغلبهم وسطاء مترجمين ولم يكونوا علماء حقيقيين، ولم يظهر لواحد منهم نظرية اجتماعية أو نفسية أو سياسية أو اقتصادية تنسب إليه هو وإلى اجتهاده الذاتي)[3].

خامساً/ تقليد الفكر الغربي جهلاً بشريعتنا، وقلة العلم بحضارتنا، نتج عنه الصراع الوهمي بين العلم والدين، بينما الحقيقة أنه ليس هناك صراع بين العلم الحقيقي والوحي الإسلامي، في عصرنا الحاضر أو في تراثنا: (أن الأدلة العقلية والسمعية متلازمة، كل منهم مستلزم صحة الآخر، فالأدلة العقلية تستلزم صدق الرسل فيما أخبروا به، والأدلة السمعية فيها بيان الأداة العقلية التي بها يعرف الله، وتوحيده، وصفاته، وصدق أنبيائه، ولكن من الناس من ظن أن السمعيات ليس فيها عقلي، والعقليات لا تتضمن السمعي، والعقل الصريح مطابق للسمع الصحيح)[4] فالإسلام يؤكد على العلم الصحيح والمنهج القويم لمعرفة أسرار الوجود والكون، وتوظيف ذلك في عمارة الأرض وتحقيق الاستخلاف، فلا تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول عند المسلمين وهذا من أسس اتكامل المعرفي.

سادساً/ على صعيد التعليم العالي يعاني الطالب الجامعي من فصل كبير بين هويته وتكوينه، فهو يدرس في معظم التخصصات الجامعية نظريات وافدة وأفكار دخيلة وغريبة، تهدد هويته الحضارية

(١) التكامل المعرفي ودوره في قيام الحضارة الإسلامية وبناء الأمة المحمدية، ياسين مغراوي، موقع: https://www.new-educ.com.

(٢) ينظر: تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، إبراهيم عقيلي، ص ٤٤.

(٣) المجتمع المدني في ضوء المقاصد العامة للشريعة، إبراهيم البيومي غانم، ص ١٢١.

(٤) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (٢٤/٨).

وفطرته وشخصيته: (مثل نظريات (فرويد) في علم النفس، ونظريات (ماركس) في الاقتصاد، ونظريات (أفلاطون) و(ديكارت) و(جون ديوي) في الفلسفة، ونظريات (تشارلز داروين) في الطبيعيات والجيولوجيا، و(جاليليو جاليلي) في الفلك و(ألبرت أينشتاين) و (إسحاق نيوتن) في الفيزياء، و(رونالد دوركين) في القانون والسياسة، وفي مجال اللسانيات يعيش طالب الدراسات اللغوية في متاهة بين الأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي، وفي مجال الطب تجد الطالب لا يعرف عن تاريخ الطب الإسلامي إلا النزر اليسير ولا يعلم شيئا عن أعلامه ورجالاته وإنتاجاتهم في الطب والكيمياء)[1]ولا يقتصر وجود هذا الفصل الغريب على طلبة العلوم الطبيعية او التطبيقية، بل نلاحظ ذلك عند طلبة العلوم الشرعية أيضاً فهم في دوامة عقلية بين اتقان المذاهب الفكرية الشرقية، وبين تعرضهم لمعارف وعلوم منفصلة عن بعضها، فغاب الهدف من تأسي الجامعات: (في ظل غياب النسق العلمي والتكامل المعرفي بين أطياف العلوم وأنواع الفنون، لأن دلالة (الجامعة) تعني جمع الشيء وحصره أي تنظيمه وتنسيقه، فهذه النسقية التكاملية هي الموجودة في المضمون العلمي للجامعات الإسلامية القديمة (القرويين، والأزهر، والزيتونة...) والتي كانت تعبر بشكل نسقي عن نماذج معرفية للعلوم الإسلامية، وتتفاعل مع النظام المجتمعي وقوانينه، وتحتضن كيانه وهويته، وتحافظ على ثوابته وسياساته، وتضمن وجوده واستمراره)[2].

ونتج عن ذلك كله ليس الابتعاد عن التكامل المعرفي فحسب، بل البعد عن مراد الله تعالى في تكامل هذه العلوم جميعا مع الوحي، قال تعالى: **((وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥))**[3] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغَاشِية:١٧ - ٢١].

سابعاً/ من التحديات التي تعرقل التكامل المعرفي الإسلامي ما ساد في العقود الجديدة والأزمنة المتأخرة، من انتشار الدعوة إلى التخصص والتبحر في العلم الواحد وعدم الاهتمام بالعلوم الأخرى، اضافة الى فقدان الجمع والتكامل والتعاون بين العلوم وهذا يتسبب في فوضى فكرية وغبش علمي: (يغلط بعض الطلبة في ترتيب الفنون والقدر اللائق من السعي لكل فن، فيشرع في بعض الفنون قبل تحصيل ما يتوقف فهمه عليه، وقد لا يهتم لفهم فن تشد الحاجة إليه، ويطيل البحث فيما لا يكثر الاحتياج إليه، وأمثال هذه الترتيبات الردية مدار تنزلهم وعدم وصولهم إلى مقاصدهم)[4] ويترتب على

(١) التكامل المعرفي، ياسين مغراوي، موقع: https://www.new-educ.com.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة ياسين.

(٤) ترتيب العلوم، المرعشي، ص ٨٢.

هذا الأمر غياب الرؤية العلمية التكاملية بين العلوم: (ولعل مرجع ذلك وسببه لأمرين اثنين: أحدهما ذاتي والآخر موضوعي، فالذاتي متعلق بالإنسان نفسه، بحكم ضعف قوته العقلية والفكرية على استيعاب جميع العلوم والفنون بمختلف دروبها، وكذا قلة زمانه وعمره في استقصائها وطلبها، علاوة على ضعف الإرادة والهمة التي ابتليت بها الأمة الإسلامية مؤخرا، أما الجانب الموضوعي فهو متعلق بطبيعة المعارف والعلوم المدرسة وطرق تدريسها، مع غياب تام للروابط والجسور بين هذه العلوم في المقررات والبرامج والمناهج الدراسية)[1].

إن التحديات المذكورة أعلاه تحتاج الى جهود علمية وفكرية جادة لتذليلها والانتقال الى مرحلة جديدة يتم فيها رسم صورة علمية واقعية لتكامل العلوم مع بعضها، لإشباع حاجة العقل الانساني الى العلم والمعرفة.

(١) التكامل المعرفي ودوره في قيام الحضارة الإسلامية وبناء الأمة المحمدية، ياسين مغراوي، موقع: https://www.new-educ.com .

نتائج البحث:

١/ النظرية هي مجموعة من العبارات المرتبطة التي نسقت؛ لكي تؤكد معنى لمجموعات من الأحداث، والتكامل المعرفي، مصطلح مركب حديث في المعاجم اللغوية والأسفار المعرفية، يشير الى تقارب العلوم من بعضها بدرجات متفاوتة.

٢/ في المنهج الإسلامي فإن أول مصادر المعرفة هو الوحي الذي أنزله الله تعالى على رسوله -صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم، ليشكل مع السنة النبوية الشريفة المصدران الرئيسان للتشريع في الإسلام.

٣/ تشير نظرية التكامل المعرفي في الإسلام الى دعوى أن التكامل ليست دعوى مرتبطة بفلسفة الحداثة وتحولات العلم المعاصر، بل تجد أصولها في تراث العلم وتاريخه؛ إذ التكامل هو الموقف الطبيعي والأصيل من المعرفة.

٤/ من التحديات المعاصرة التي تواجه تطبيق نظرية التكامل المعرفي الإسلامية: الجهل بمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية في سعيهما للتكامل المعرفي، والتغافل عن منطق القرآن في العناية بالعقل واتباع المنهج الاستدلالي العقلي.

٥/ يمثّل انفصال العلوم الحديثة الوافدة عن العلوم الموروثة بمناهجها وموضوعاتها تحدياً آخر أمام عودة العلم والعمل بنظرية التكامل المعرفي الإسلامية.

المصادر بعد القرآن الكريم:

أولاً/ الكتب:

١. أساس البلاغة، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

٢. الأفعال، علي بن جعفر السعدي بن القطاع، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.

٣. تجديد المنهج في تقويم التراث، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٩٣.

٤. ترتيب العلوم، المرعشي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٨.

٥. التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

٦. التعليقات، ابن سينا، دار الحكمة، بغداد، بلا سنة طبع.

٧. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٩.

٨. التكامل المعرفي وأثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية، رائد جميل عكاشة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢.

٩. تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، إبراهيم عقيلي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الولايات المتحدة، ١٩٩٤.

١٠. خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: بحث في جدلية النص والواقع، عبد المجيد النجار، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الولايات المتحدة، ١٤١٣ه.

١١. الذريعة الى مكارم الشريعة، الأصفهاني، دار السلام، القاهر، ١٤٢٨ه.

١٢. رسالة العلوم، ابن حزم، في رسائل ابن حزم تحقيق إحسان عباس، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٠.

١٣. شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦.

١٤. الضروري في صناعة النحو، ابن رشد، جامعة حلوان، مصر، ٢٠١٠.

١٥. الطرق الحكمية، ابن القيّم، مجمع الفقه الاسلامي، جدة، ١٤٢٨ه.

١٦. فصول منتزعة، الفارابي، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٣.

١٧. فلسفة التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، ماجد الكيلاني، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ١٤٠٧ه.

١٨. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥.

١٩. قواعد أساسية في البحث العلمي، سعد اسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤.

٢٠. كشاف اصطلاح الفنون، محمد التهانوي، ناشرون، بيروت، ١٩٩٦.

٢١. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠.

٢٢. المجتمع المدني في ضوء المقاصد العامة للشريعة، إبراهيم البيومي غانم، ضمن كتاب: مقاصد الشريعة وقضايا العصر: مجموعة بحوث، مؤسسة الفرقان، الرياض.

٢٣. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مجمع الملك فهد، السعودية، ١٤٢٥ه.

٢٤. المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشؤن المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣.

٢٥. المعجم الوسيط، مجموع مؤلفين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، ٢٠٠٤.

٢٦. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.

٢٧. المنهج المدرسي المعاصر، جودت أحمد سعادة وعبد الله ابراهيم، دار الفكر، عمان، ٢٠١٦.

٢٨. منهجية التكامل المعرفي، فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الولايات المتحدة، ١٩٩٥.

٢٩. نحو منهجية معرفية قرآنية، طه جابر العلواني، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٥ه.

٣٠. نظرية الحق في الفقه الاسلامي، د. عبد الستار حامد، ديوان الوقف السني، ٢٠٠٨.

٣١. نظرية المعرفة في القرآن، أحمد الدغثي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٢.

٣٢. نظرية المنهج، جورج بوشامب، ترجمة ممدوح محمد، الدار العربية، القاهرة، ١٩٨٧.

ثانياً/ الدوريات المواقع الالكترونية:

١. إسلامية العلوم وموضوعيتها، جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، عدد ١٤٨.

٢. إسلامية المعرفة وفلسفة التكامل المعرفي، د. عزيز البطيوي، مركز نماء، بيروت، ٢٠١٥.

٣. التطبيق المقاصدي في المنهج الخلدوني، عبد الرحمن العضراوي مجلة إسلامية المعرفة، ع ٥٠، السنة ١٣ خريف ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧م، ص ١٨٨.

٤. التكامل المعرفي في الإسلام: التكامل بين الوحي والعقل أنموذجا، أروى عبد الرحمن ، موقع: https://www.alukah.net.

٥. التكامل المعرفي في العلوم، د. محمد البشاري، موقع: https://www.aletihad.ae.

٦. التكامل المعرفي وأثره على النهضة العلمية والحضارية، يوسف العزوزي ، صحيفة رأي اليوم، العدد ١٤، في ٢٠٢٢/٥/١٨، موقع https://www.raialyoum.com

٧. التكامل المعرفي ودوره في قيام الحضارة الإسلامية وبناء الأمة المحمدية، ياسين مغراوي، موقع: https://www.new-educ.com.

٨. الدراسات البينية تفتح آفاقا جديدة في البحث العلمي، محمد صالحين، موقع: اسلام اون لاين، https://islamonline.net.

٩. نحو إعادة الوصل بين علوم الوحي والدراسات الإنسانية، عبد الرزق بعقرور، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، العدد ١، سنة ٢٠١٦.